

العنوان:	دراسة تحليلية لتوائم فن نقش الجدار مع البيئة الطبيعية والإنشائية المعمارية بمنطقة عسير في أواخر حكم الدولة العثمانية
المصدر:	مجلة التصميم الدولية
الناشر:	الجمعية العلمية للمصممين
المؤلف الرئيسي:	عارف، إيمان أحمد
المجلد/العدد:	مج 6, 4ع
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	113 - 122
رقم MD:	985019
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	النقوش الجدارية، الدولة العثمانية، البيئة الطبيعية، العمارة الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/985019

An analytical study on wall painting adaptation to physical and architectural environment of asir province at the end of ottoman empire
دراسة تحليلية لتوائم فن نقش الجدار مع البيئة الطبيعية والإنشائية المعمارية بمنطقة عسير في أواخر حكم الدولة العثمانية

د. إيمان أحمد عارف

مدرس بقسم تاريخ الفن – كلية الفنون الجميلة – جامعة حلوان – القاهرة - مصر

كلمات دالة: Keywords:
 Asir Rijal Alma'
 عسير رجال المع
 Asir Province,
 منطقة عسير
 Nagash ornament
 زخرفة القف
 Asir old house
 بيوت عسير القديمة
 Asir Traditional mud
 houses
 العمارة التقليدية بعسير

ملخص البحث Abstract:
 يعد فن صبغة وزخرفة الجدار من الفنون التراثية التي تعكس ثقافة المجتمع وعقيدته وحضارته. انتشرت الرسوم الجدارية التي تصبغ جدران العمارات التقليدية من الداخل والخارج في معظم قري العالم القديم وبخاصة بين القبائل منذ بداية العصور البدائية (فن الكهوف) الي يومنا هذا، وبدخول الاسلام لبعض من هذه المناطق اختلطت تلك الفنون بالقيم والتعاليم الاسلامية مما نتج عنها وحدات وعناصر متميزة. انفردت تكتسيات جدران بيوت منطقة تهامة عسير وبخاصة (قرية رجال المع) بجنوب غرب المملكة العربية السعودية بزخارف نباتية وهندسية زاهية اللون فبدت من تغطيتها للمساحات الجدارية سواء الداخلية او الخارجية من أسقف وأرضيات وجدران وملحقات معمارية اخري كانها تحاكي جنات عدن كما ذكرت في القرآن الكريم، متأثرة ببيئاتها الجغرافية الغنية بالنباتات والأشجار وأختلاف تضاريسها الجغرافية مما نتج عنها انماط معمارية إنشائية انعكست علي فن القف الزخرفي العسيري. تهدف هذه الدراسة الي إبراز دور مساهمة المرأه العسيرية في تنمية وإثراء الفنون الجدارية وموائمتها مع العمارة التراثية بالمنطقة وذلك في ظل الحقبة الإسلامية أواخر الحكم العثماني (واخر القرن التاسع عشر الميلادي)، كحاوله لتكوين بنية فكرية نظرية للحفاظ علي الموروث والطابع القومي للمنطقة، بجانب الدراسات السابقة التي تناولت تحليل فن القف كموروث بهيئة زخرفية مجردة. لذا اتبعت الدراسة المنهج التحليلي والمسح الشامل لإبراز العناصر الزخرفية الجدارية وإثبات ان فن القف العسيري ليس فن زخرفي تجريدي فقط بل انه فن بنائي من يتأثر بالبيئة المحيطة ويرتبط ارتباطا وطيدا بفن العمارة البيئية، كأحد عناصر فن التصميم الداخلي والخارجي الذي يعتني بتزيين الفراغ المعماري من حيث تخطيط المساحات وترابطها وتناغمها وانسجامها مستخدما ادوات وخامات بدائية .

Paper received 5th July 2016, accepted 9th August 2016 , published 15th of October 2016

- فن القف العسيري فن بنائي يرتبط ارتباطا قويا بفن التصميم المعماري والعمارة البيئية فمن خلاله نتج عنه صفة الأندماج والتشبع العام.

أهداف البحث Objectives

- تحليل وحدات زخارف فن القف بقرية رجال المع لاثبات توائمتها مع فن العمارة التقليدية والبيئة المحيطة.
 - مساهمة المرأه العسيرية في تطور وتوظيف التراث للحفاظ علي البصمة والهوية القومية.

حدود البحث Delimitations

المكانية: تتركز الدراسة علي منطقة تهامة عسير بقرية (رجال المع) بأبها وتعتمد علي المسح الشامل للأسطح الجدارية المنقوشة بفن القف والمصبوغة بالمسطحات والمساحات اللونية.
الزمانية: النصف الاخير من حكم الدولة العثمانية من القرن التاسع عشر الميلادي.

مسلّمات البحث Assumption

تتميز قري منطقة عسير بطابع فني جداري عن بقية انحاء المملكة، وقد تميزت كلا من قرية رجال ألمع و قرية قحطان بمعالجات فنية جدارية ذات طابع خاص، كما أنها انفردت عن الفنون التراثية المناظرة لها ببلدان الجوار مثل اليمن في الجنوب والفنون الافريقية المقابلة لها من جهة الغرب الفاصل بينها البحر الاحمر.

فروض البحث Hypothesis

ان فن القف التراثي هو فن بنائي، يعد أحد عناصر التصميم المرتبط بفن العمارة التقليدية، فبجانب انه فن يحافظ علي الطابع القومي للمنطقة، هو أيضا فن يتحقق من خلاله الدعم النفسي

مقدمة Introduction

تزرع العمارة التقليدية في الحقبة الإسلامية في منطقة تهامة عسير (ابها) بوحدات وعناصر بعضها أساس إنشائي وبعضها يخدم الهدف المقام من أجله البناء والأخر مكمل معماري، لذا يعد دراسة أساليب المعالجات الجدارية للتصميم الداخلي والخارجي هو احد عناصر المفردات المكتملة للعمارة وبخاصة البيئية. فهي في مجملها تعبر عن الصفات الجمالية والحسية للبيئة المحيطة والمجتمع، فمن خلال دراسة وتحليل بعض العناصر الزخرفية المنفذة بأسلوب فن القف العسيري يمكننا استقراء الطبيعة الجغرافية المحيطة وكذلك الأساليب الفنية المحلية والوافدة مستلدين عليها من خلال ربط الأحداث التاريخية.

تشابه بيوت منطقة تهامة عسير بصيغتها اللونية المتميزة حيث الزخارف التجريدية المنمقة والمسطحة، وتزداد تلك الاسطح الجدارية الملونة تالقا بانكسار الشمس والظلال الساقطة عليها من العناصر المعمارية المجسمة والبارزة مثل الشرافات وكذلك الملابس الخشنة مثل خامة الطين والطوب اللبن والحجر الذي يشبه الصفائح المرصوصه (الرقف) فتشبه لوحات المدرسة التكعيبية. فكما عالج المعماري عمارته لمقاومة الرياح المحملة بالأتربة والرمال والهواء الساخن وأشعة الشمس القوية، عالج فناني القف العسيري جدرانهم بزخارف ونقوش متلائمة مع النسيج البنائي للعمارة البيئية، حتي اصبح فن القف تقليداً معمارياً متوارث في تلك المنطقة. فإنه من الطبيعي ان يتأثر فنانونه ببعضهم البعض مما يدفع بعجلة الفن إلي التطور والتحديث كما في العصور السابقة.

مشكلة البحث Statement of the problem

- الحفاظ علي مقومات الهوية التراثية التي تحمل بعقها الأصالة لمقاومة التغيرات المدنية الحديثة التي تطمس معالمها.

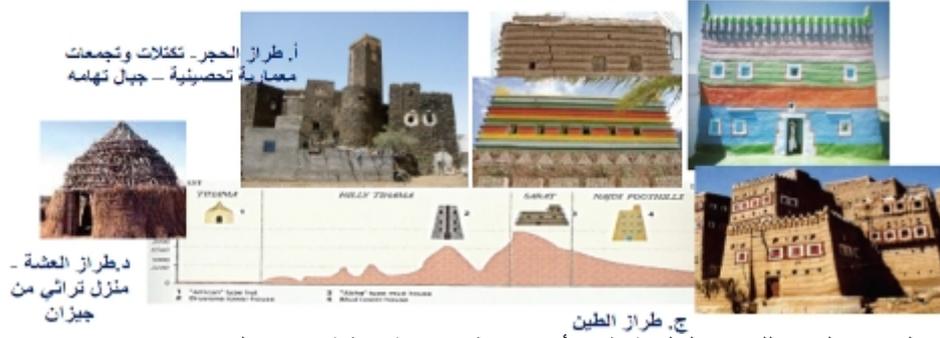
لحماية قدسية الحرمين الشريفين من أطماع الاستعمار البرتغالي والبريطاني في أواخر القرنين التاسع عشر الميلادي والعشرين، بالرغم من استيلائهم علي عدن وبعض من مناطق شبه الجزيرة العربية الواقعة علي الخليج العربي بحجة حماية تجارتهم المارة بالطريق التجاري بهذه المنطقة.

لقد خضعت منطقة عسير الي الحكم الاموي والعباسي ثم العثماني في فترة ابن عايش وانتهت بحكم الدولة السعودية.

١.١. طوبوغرافية المنطقة الجنوبية الغربية وتنوع انماط العمارات التقليدية

تنوعت تضاريس المنطقة الجنوبية الغربية إلي نمطين، الأول هو امتداد سواحلها الرملية المنبسطة في الجهة الغربية المطلة علي البحر الأحمر التي تواجه مجموعة من الجزر التابعة لها عرفت باسم فرسان وعرفت تلك المنطقة باسم (تهامة الساحل)، والثانية كلما توجهنا إلي الداخل نحو اليابسة تنتشر المساحات الخضراء حيث حرفة الزراعة وسكان الريف بعاداتهم وتقاليدهم المختلفة عن أهل الساحل والجبال حيث امتداد سلسلة جبال السروات التي تقع في الجهة الشرقية لهذه المنطقة وعرفت باسم (تهامة الأصدار). حيث تباينت انماط العمارات ما بين اشكال مختلفة من العيش السكنية لقيت طرزها طبقاً لتواجدها واشتهارها بالمنطقة، في حين امتازت منطقة الأصدار بنوعين من التخطيط المعماري، أحدهما علي يبني من الحجر علي هيئة مربعة وغالباً ما يضم ساحة داخلية تعد المنتفض للفراغ المعماري الداخلي للمنزل، والآخر عبارة عن تجمعات سكنية علي هيئة أبراج تحصينية متصلة عبر سلام وقناطير. وتقسّم الأنماط المعمارية والعمرانية للمنطقة الجنوبية طبقاً للتضاريس الطوبوغرافية والمناخية والارتفاع عن سطح البحر الأحمر إلي:

ب. طراز مختلط من الطين والحجر - منازل مختلفة من فري نجران و بن حسان في خميس مشيط - مشيد بنمط الرقف والمداميتك الطينية



(شكل رقم ١) التصميم البنائي للعمارة التقليدية طبقاً لاختلاف طوبوغرافية منطقة عسير (المصدر: Thierry Mauger: P.13)

٢.١.١ **هضبة نجران:** تقع منطقة نجران جنوب غرب المملكة العربية السعودية، يحدها من الشرق المنطقة الشرقية، ومن الغرب منطقة عسير، ومن الشمال منطقة الرياض، ومن الجنوب الجمهورية العربية اليمنية. (عبد العزيز منسي واخرون (٢٠٠٣ م) اهتم الرحالة والمؤرخين والجغرافيين بتسجيل أهمية موقع نجران بصفتها واحة زراعية، وتقع علي طريق التجارة البري القديم لقوافل التوابل والبخور الذي يربط شمال المنطقة بجنوبها "ثم يمر بنجران، ويتفرع عند بئر حما إلي فرعين: الأول يتجه إلي شمال شرق الجزيرة العربية ماراً بقرية الفاو ثم الأفلاج واليمامة والجرهاء ومنها بمحاذاة الساحل إلي بلاد ما بين النهرين، في حين يتجه الطريق الآخر من بئر حما إلي شمال غرب الجزيرة العربية ماراً بجرش ثم مكة المكرمة والمدينة المنورة والعلات ثم البتراء وبلاد الشام ومن ثم وادي النيل، حيث كانت المعابد المصرية آنذاك تعتمد علي صادرات جنوب الجزيرة العربية من اللبان والمر والبخور في ممارسة بعض الطقوس الوثنية" (عبد العزيز منسي

والترباط المجتمعي. ورغم تواجد الحكم العثماني في القرنين الخامس عشر والتاسع عشر الا انه لا توجد اي تأثيرات فنية تركية مباشرة علي فن القط التراثي وبخاصه في قرية رجال المع.

منهج البحث Methodology

تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المعتمد علي المسح الشامل لمعظم العناصر المتميزة والمتكررة علي جدران قرية رجال المع بمنطقة ابها الواقعة في جنوب غرب المملكة العربية السعودية.

الخلفية التاريخية Historical Background

نشأت في المنطقة الجنوبية شبه الجزيرة العربية حضارات قوية ذات أبعاد ثقافية وسياسية وفنية قوية بعضها متعاقب وبعضها مترامن في الحكم والتواجد زمنياً وهي (معين، وسبأ، وقبتان، وحضرموت، وأوسان، وحمير) في خلال القرن الأول ق.م. إلي أوائل القرن السادس ميلادي. تعد المنطقة الجنوبية الغربية احد المواقع التاريخية منذ عهد ما قبل الإسلام ففي هذه المنطقة مرت جيوش أبرهة النجاشي الذي أراد أن يهدم بيت الله الحرام والهيمنة علي بلاد الحجاز، وشواهد ودلائل لنقوش قوم ثمود، وعبرت من خلال هذه المنطقة القوافل التجارية المعروفة برحلاتي الشتاء والصيف إلي ومن اليمن ومكة المكرمة.

أصبحت المنطقة الجنوبية الغربية تمثل جزء هام من أجزاء الدولة الإسلامية، فقد منح الإسلام لهذه المنطقة خط دفاعي قوي ومتمين طوال هذه الفترة ضد أطماع بلاد الفرس والحبيشة، حيث تعد هذه المنطقة احد البوابات الهامة لقلب الدولة الإسلامية التي كان مركز حكمها الحجاز، وسرعان ما انتقل الحكم إلي العواصم الإسلامية الاخرى عبر حكم الخلافت الإسلامية المتعاقبة، إلا أن هذه المنطقة ظلت تتمتع بالعناية الكاملة من جميع حكام المسلمين



(شكل 2) خريطة توضيحية لقرية المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية. المصدر: (محمد عبد الله صالح، ٢٠٠١)

ممرات ضيقة متصله فببت كقلاع حربية مرتفعة ذات اربع طوابق.

ساهم تنوع الانماط المعمارية ومعالجاتها الجدارية طبقا للعوامل البيئية والسياسية والاجتماعية والدينية في إثراء فكر وخيال الفنون التراثية مع توظيف الخامات البيئية المتاحة، فجميعها يتحد في الوظيفة والهدف وهو السكن والأمن، وان اختلفة الاماكن والمساحات المخصصة للغرض الا انها تتشابه من حيث التكتل والتجاور والتتابع والاتصال والأبراج العالية والاعتناء بجماالية المظهر العام.

٢. قرية قبيلة رجال المع ودورها التاريخي:

قبيلة رجال المع احد قبائل عسير التابعة لمنطقة الأصدار وهي من القبائل المعروفة بشدة البأس ويرجع اصولها إلي بعض من القبائل ذات الأصول الأزدية (هشام سعيد النعمي ١٩٩٩ م) ، وتقع قبيلة رجال المع "في تهامة علي روافد وادي حلي مثل وادي كسان... ووادي ريم وفي جبال حسوة وقلوة وغمرة" (حمد الجاسر، ١٩٨١م). تتميز تلك المنطقة بصعوبة تضاريسها الجغرافية الوعرة التي أثرت علي تخطيطها العمراني، لذا شيدت ابنتها علي هيئة حصون وقلاع التي يزيد ارتفاعها في بعض من الاحيان عن خمسة طوابق. استطاعت قبيلة رجال المع مع القبائل الأخرى التصدي للعدوان العثماني الذي لم يتسطيع الوصول اليها نظرا لاستخدامها نظام (المرجمة الدفاعية) وهي اداة تستخدم في قذف الصخور من اعالي الحصون والقلاع اي الرمي بالصخور، وخير دليل علي ذلك عدم وجود آثار لقلاع عثمانية بها.

تمكن الوالي محمد علي من السيطرة علي حكم مصر (١٨٠٥-١٩٥٣ م)، وقد راودته فكرة تكوين دولة عربية موحدة مستقلة عن الدولة العثمانية تضم الجزيرة العربية فحاول من خلال أحمد باشا والشريف أحمد بن عبد المعين بن عون السيطرة علي منطقة عسير عام ١٢٣٩هـ (محمود شاكر، ٢٠٠٠) مستخدما سياسة الترغيب والترهيب لتحقيق التآلف مع القبائل فمنهم من خضع والبعض الأخر رفض مثل قبيلة رجال المع الذي حاول القائد أحمد باشا في استمالتها للقضاء علي عائض بن مرعي الذي كان يخضع للولاء اليهم في بادئ الأمر ثم تحول ضدهم، والذي خاض عدت حروب منذ بداية غزو الأتراك (١٨٣٤ م إلي ١٨٦٩م) (كينهان كورنوسوايس، ٢٠٠٧)، إلا ان أحمد باشا لم يتمكن من أقتاعهم واستمرو في مؤازرة آل عائض.

خاضت بعض من قبائل منطقة الاصدار ومنها قبيلة رجال المع حروب طاحنة ضد جيوش محمد علي باشا في موقعة وادي بسيل القريبه من منطقة الطائف (١٢٣٠ هـ) التي انتهت بانتصار جنود محمد علي بالجيوش المصرية علي الجيوش السعودية بالاتحاد مع القبائل، ويرجع أنتصار محمد علي في هذه المعركة لعدة اسباب أهمها الهزائم المتكررة التي الحقت بهم علي يد أشرف مكة وقبائل غامد وزهران بقيادة القائد بخروش بن علاس، إلا ان تلك القبائل ومنها قبيلة رجال المع لم تستسلم لتلك الهزيمة فعادو الي الكر والفر مع الجنود الأتراك حتي تم طردهم (١٢٣١هـ) خارج تهامة إلي الطائف ثم إلي جدة وخصوصا بعد أسر وقتل قائدهم بخروش، كما شاركت قبيلة غامد في اسقاط حكم الشريف علي عسير الموالي للحكم العثماني عام ١٢٣٨ هـ، وتصدو بكل حسم لجيوش أحمد باشا عام ١٢٤١ هـ حتي انتهت تلك الحروب المتلاحقة بعقد أول اتفاقية عام (١٢٤١هـ) تنص علي استقلال عسير عن الحكم العثماني، ويبدو ان تلك البؤرة كانت العقبة امام جيوش الدولة العثمانية للوصول الي بعض من المناطق الجنوبية نظرا لسيطرتها علي جبال ريفية وربيعه التي تسمى (عقبة القضاء) وهي المنطقة التي تصل بين أبها ومحابل، لذا لم يتسطيع إبراهيم باشا عام ١٢٥١هـ بجيوشه العاتية التي اسقطت الدولة السعودية الأولى من ردهم تحت الحكم العثماني، انقطع الاحتكاك بين القبائل والأتراك عام (١٣٢١ هـ).

واخرون ٢٠٠٣ م)، وهذا ما يفسر التأثير المصري القديم علي المنحوتات الأثرية والتأثيرات البيزنطية والقبطية والفارسية والشامية.

تتمتع تلك الهضبة بالمناخ الصحراوي الحار والجاف صيفا وندرت الأمطار شتاء وقد أثرت تلك العوامل علي المواد المستخدمة في البناء المعماري، حيث شيدت البيوت (شكل ١- ب) المداميك باستخدام الطوب الطيني المخلوط بالأعشاب والتين والماء. ارتفعت مستويات الطوابق ما بين ثلاثة طوابق وخمسة محاطا باقنية ذات اسوار عالية متلاحمة مع اسوار البيوت المجاورة مشكله طرق وحارات ضيقه منسجمة مع التلال الزراعية والحقول.

٢,١,٢ **جبل السروات ومرتفعات أبها:** تمتاز المناطق الجبلية المواجهة للبحر الأحمر باعتدال الحرارة إلي حدا ما صيفا والبرودة شتاء وزيادة معدل الأمطار، مما دعا إلي ضرورة البناء علي قمة تلك المرتفعات تقاديا لجرف مياه الأمطار واستخدام الأحجار في تأسيس الدور الأرضي والأول، في حين استخدم خامة الطين المخلوط بالأعشاب والتين بواسطة الماء كمداميك، يعلوها صف من الحجر المسطح البارز من الجدار بصورة تبادلية، للحفاظ علي طبقات الطين من الأمطار، عرفت هذه الطريقة باسم (الرقف) (شكل ١- ب).

أخذت تلك الأبنية المعمارية الشكل الهرمي دون قمة، فببت بمظهر قلاع دفاعية تحصينية، وسكنية حيث حرص المعماري علي تزيين الواجهات الخارجية وإطارات الفتحات من نوافذ وأبواب بالجبص الأبيض(النورة)، في حين زين الجدران بزخارف هندسية ملونة زاهية بالون الأصفر والأخضر والأزرق والأحمر.

٢,١,٣ **جبال فيفا والباحة:** تتمتع تلك المنطقة بغزارة الأمطار علي سفوح الجبال، مما استلزم تأسيس وبناء الأبراج الدفاعية الاسطوانية والمستطيلة والمربعة الشكل، بالأحجار الغير منتظمة الشكل بصورة تراكمية مع ملء الفراغات بين الأحجار الكبيرة بصخور صغيرة دون مونة، وزينة إطارات الفتحات والنوافذ ذات اللون الجبلي القائم بأشكال هندسية من حجر المرو الناصع.

٢,١,٤ **تهامة جازان:** تمتاز المناطق الساحلية الممتدة علي البحر الأحمر بارتفاع الرطوبة صيفا مع ارتفاع درجات الحرارة بينما تعادل الحرارة شتاء حيث الدفء، وقد ساعد هذا المناخ علي نمو الأشجار والحشائش وزراعة القصب والخيزران، ونظرا لتوفر هذه الخامات الطبيعية وانسباط الأرض في هذه المنطقة أدى إلي بناء العشش السكنية علي هيئة أكواخ اسطوانية (شكل ١ - د) ذات سقف مخروطي الشكل دون أي نوافذ، اعتمادا علي نفاذ الضوء والهواء إلي الداخل من اعلي، عبر غصون الأشجار والنباتات التي تكسو اعلي المنزل، متأثرنا بأسلوب العشش بأفريقيا، وقد كسيت الجدران الداخلية والخارجية لتلك العشش بطبقة طينية وجصية زينت بالرسوم والزخارف الهندسية المجردة وفي بعض من الأحيان ثبت عليها أطباق ملونة بالوان زاهية ذاع استخدامها في التراث المعماري والمنتجات التطبيقية، وهي اللون الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر.

٢,١,٥ **منطقة الإصدار:** تشتمل علي قرية رجال المع وجبل الفيفا وعقبة الباحة وزبي عين، وقد احتوت تلك المنطقة علي انماط مختلفة في انشاء العمارة السكنية التحصينية مستخدما الكتل الحجرية المرصوفة فوق بعضها البعض مثبتة اياها بقطع الاحجار الصغيرة ومزينة واجهاتها بحجر المرو الأبيض الناصع ودرجاته اللونية المختلفة، فظهر نمط العمارة المتناثرة التي يتم بنائها طبقا للمساحة المتاحة في الحقول والتضاريس الجبلية المتدرجة، فالتحمت الأبراج الاسطوانية المرتفعة مع الابنية المنخفضة الارتفاع ومثلت حصن دفاعي، كما ظهر نمط التحام البيوت البرجية ذات القواعد المربعة الشكل المترابطه من خلال



(شكل ٤) تشكيل زخرفي بحجر الكوارتز علي احدي واجهات عمائر (المصدر: سلطان الاحمري ١٤٣١ هـ، جريدة الرياض العدد ١٥٣٢٠)



(شكل ٥- أ، ب) رسات متنوعة بحجر المرّو الابيض تزيين واجهات عمائر قرية رجال المع

اشتهرت قرية رجال المع بزخرفة جدران العمائر بالخامات البيئية المختلفة فكان دور الرجال البناء والتشييد وزخرفة الواجهات الخارجية بالخامات البيئية، في حين تقوم المرأه بتزيين ونقش الجدران من الداخل امتدادا من باب الدخول الي غرفة الاستقبال الخاصة بالرجال "المجلس" التي غالبا ما تكون في الدور الأول فوق الدور الارضي المخصص للمناشبة والدواب وتمتد تلك النقوش الملونة إلي الغرف المجاورة حتي تصل تدريجيا الي سطح المنزل.

٥. فن نقش الجدار بعسير وتأثره بالحضارات العريقة:

عرف فن التصوير الجداري منذ القدم علي جدران الكهوف، وانتقل وتبلور عبر العصور التاريخية إلي فن تزيين أسطح جدران العمائر الداخلية والخارجية، وسرعان ما اتخذ مكانته عند مختلف الشعوب فاعتني به وبخاصة بين القبائل. فهو يعد نوع من أنواع الفنون التعبيرية التي تعكس حضارة وثقافة المجتمع. امتد التأثير المصري منذ الحضارة المصرية القديمة وتجدد بعد فتح الإمبراطور كامببسس الفارسي (٥٥٠-٥٣١ ق.م) مصر حيث توطدت العلاقة بين المنطقة الجنوبية والغربية بشبه الجزيرة العربية، كما اهتم الإمبراطور تحتمس داريوس الأول (٥٢١-٤٨٤ ق.م) بتنشيط طريق التجارة القديم الذي يربط بين مصر والهند وامتد هذا الترابط عبر الأزمان التاريخية وصولاً إلي الفتح العربي الإسلامي. وقد انعكست تلك العلاقات المتبادلة علي أسلوب معالجة زخارف الجدران، فقد شاع في مصر في ظل الحكم الإسلامي تلوين الزخارف بالون الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والذهبي والفضي. كما كان ينتشر عادت تزيين جدران المنازل بالنوبة بالرسم والزخارف والكتابات والمساحات اللونية. ويبدو أن اللون الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر هي الألوان الأساسية المشتركة بين الشعوب التي زينت أسطح جدرانها وزخارفها بها، فيتم تحديد إطار الوحدة الزخرفية بلون مختلف لإظهار رونق الشكل وقيمة اللون.

٣. العلاقات القبلية وأثرها في تشكيل طرز معمارية وفنية زخرفية:

شكلت العلاقة الوطيدة بين قبائل المنطقة الجنوبية الغربية وقبيلة رجال المع الشكل العام للعمارة ومعالجتها الزخرفية الداخلية والخارجية، وهذا ما أكد عليه تشيلي "بدراسة وتحليل أثر العوامل الاجتماعية والثقافية القبلية في المجتمع الهندي المسلم في انماط معمارية متميزه من البيوت" (Rajmohan Shetty, 1990). لذا لم تكن العوامل الطبوغرافية فقط هي التي تشكل الأنماط المعمارية والزخرفية، بل أيضا علاقة النسب بين القبائل هي التي تعكس التأثيرات الفنية والمعمارية في ظل مجتمع إسلامي قبلي متحفظ.

ساهم الموقع الجغرافي لقرية رجال المع علي ان تكون احد المراكز التجارية الهامة لطريق التجارة اليمني لبلاد الهند، والطريق الإفريقي المار بجيزان والقحمة والبرك، علي اثرها وحداتها الزخرفية فبدي بها مظاهر روح التأثر بفنون الحضارات القديمة مثل الفن الهندي والإفريقي واليمني، وبخاصة في الدرجات اللونية الزاهية وبعض الوحدات الهندسية المجردة.

٤. المعالجات الجدارية لواجهات عمائر قبيلة رجال المع:

تعددت اساليب زخرفة الواجهات الخارجية الحجرية لعمائرمنطقة الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية ما بين زخارف هندسية بحجر الكوارتز أو المرّو الأبيض، وما بين طلائات جصية باللون الأبيض او ملونة، وصخور بارزه عن الجدار المعروفة باسم (الرقف أو النطف) وهو عبارة عن طين "الخب" حيث يتم تثبيت ثلث الألواح الحجرية أفقيا في داخل الجدار علي ابعاد متساوية من المداميك التي يتراوح ابعادها ما بين ٤٠ و ٥٠ سم، و ٥٠ و ٦٠ سم ارتفاع، المغطاء بطبقة من الطين والقش المطحون، والغرض من استخدام الرقف هو الحفاظ علي الجدار من الأمطار واشعة الشمس مما عكس مشهد ابداعيا مجسما لشكل العمارة في تلك المنطقة (أثار منطقة عسير، ٢٠٠٣م). فقد كانت مهمة الرجل الألمعي القيام بتلك المهمة اثناء عملية البناء فظهر الإعتناء بزخارف إطارات النوافذ الضيقة التي شكلت علي هيئة رؤوس الرماح المدببة (شكل ٤،٥) ذات الشكل المثلث ونسقة بهيئة متتابعة بحجر الكوارتز الأبيض وكأنه يرمز إلي خصوصية وحرمانية المكان، وفي احيانا اخري نسقت الحجارة بصورة تبادلية بين اللون الأبيض والأسود (شكل ٥- أ، ب) كما في قرية رجال المع، وفي احيانا اخري يتم وضعها عشوائياً علي جدران الطين وذلك لكسر الشعور بالملل. ويرجع الاهتمام بزخارف الواجهات الخارجية بالأشكال الهندسية الحجرية ذات اللون الأبيض إلي العقود الساحقة قبل ظهور الإسلام أي العصر الجاهلي في عمائر وادي عيآء (شكل ٣) الذي يقع شمال عسير بمنطقة خميس مشيط "ابها" الذي يذخر بالعديد من الحصون والقلاع والمقابر ذات الطابق والطابقين والقصور المنمقة هندسيا وزخرفيا. ويذكر الشنفرى أحد شعراء العصر الجاهلي ان عمائر وادي تعود إلي قبيلة الأواس بن حجر. (خزامي الصحاري ، ٢٠١١م) في العهود التي سبقت ظهور الإسلام حيث شيّدوا القصور والمسكن والمعابد وزينوها بحجر المرّو أو الكوارتز بتشكيلات هندسية.



(شكل ٣) أحد قصور وادي عيآء بخميس مشيط -ابها

7.2. تحليل عناصر زخارف فن القبط:

تتألف وحدات وعناصر بناء تصميم زخارف فن القبط من مجموعة من الخطوط المستقيمة والمنكسرة ونادراً ما يستخدم بها الخطوط المنحنية كما في العمارة البيئية التي تتميز بها تلك المنطقة. قسم سطح الجدار الي ثلاثة اقسام افقية متوازية (علوي "هديه" – ووسط "ختام" – نهاية) تحصر بينها مجموعات زخرفية هندسية ملونة بين خطين أفقيين. كما غطت أسقف البيوت أيضاً مثل جدرانها بنمط هندسي ونباتي للعوارض الخشبية الحاملة للأسقف (شكل ٧)، والسواكف الخشبية التي تقوم بمهمة الدعامات التي تصل بين الأعمدة والجدران والأعتاب العلوية للفتحات والنوافذ المتوازية وغالبا ما تكون من خشب الأثل. وتركزت الزخارف علي واجهات الأبواب الخشبية المدعمة في بعض الأحيان ببعض المعادن ونقشت باللوان زاهية وذلك لإبراز أهميتها لأستقبال الضيوف ورمز لواجهة صاحب المنزل.

7.3. الألوان والخامات المستخدمة في نقش الجدران:

ذاع صيت أسلوب النقش وعرف باسم "القط" كما في جبال سراة، وباسم "الزيان والنقش" في منطقة تهامة، وهو أحد الحرف التقليدية التي تميزت بها المرأة هناك، حيث برعت في استخدام النقوش الهندسية والنباتية المجردة المستلهمة من البيئة المحيطة بها، منفذه إياها بألوان مستخرجة من الطبيعة مثل اللون الأسود، فقد استخرج من خامة الفحم الأسود المطحون المزوج بالصمغ ليمنحه المعان والثبات، واللون الأحمر مستخرج من مجموعة من الأحجار الحمراء اللون، ممتزجة بنبات المر والأرز المطحون بنسب محددة ومعروفة للنساء الألمعيات، بينما يتم الحصول علي اللون الأصفر والأخضر والأزرق من مواد طبيعية تستورد من بلدان مختلفة عن طريق التجار الوافدين من الحملات التجارية والحج. ومن أشهر النساء الألمعيات التي عملت بهذا المجال الفني مثل: زهرة فابع، وشريفة محمد مهدي، وفوزية بارزيق، فاطمة أبو قحاص، وقد تميزت كلا منهم بدرجاتها اللونية وعناصرها الزخرفية.

أثرت البيئة المحيطة من طبيعة ونبات وحيوان وغيرها، في إختيار الدرجات اللونية فعلي سبيل المثال إعتز البدو بالإبل فكانت درجات اللونية لأوبارها متقاربة من الدرجات اللونية المستخدمة في نسيج السدو ونقش القط وكذلك علي المنتجات التطبيقية الأخرى، فكانت إبل الوضح ذات اللون الأبيض، وإبل الملح ذات اللون الأسود الحالك، وإبل الحمر ذات اللون الأحمر، وإبل الصفر ذات اللون الأصفر. وبذلك عبرت المرأة من خلال فن النقش والزخرفة (القط) عن ما بداخلها من مشاعر وما يجب بخيالها وتفاعلها مع البيئة المحيطة بها عاكسه ثقافتها وقناعاتها ومعتقداتها.

7.4. أدوات الرسم والتلوين للمرأة الألمعية: صحن التلوين وبعض من الفرش المستخرجة من ذيل الأغنام وأداة معدنية تشبه المكوك.

7.5. إعداد الجدار لنقش القط بمنطقة عسير:

تتمثل أولى خطوات العمل الفني لزخرفة الجدار في اعداده من خلال الرجال حيث تكسي الجدران الحجرية طبقة مستوية تعرف لدي الحرفين بالمنطقة "باللياسة الجصية" علي سطح الجدار، وهو جزء من استكمال الجانب الأنشائي الذي يختص به الرجال، وبعد جفافه تقوم المرأة بتقسيمه إلي مساحات متناسبه مع مساحة واتجاه الأسطح الجدارية، مثل الجدار المواجه لأستقبال الزائرين أو الذي يقع في صدارة غرفة القهوة، فينفرد بتصميم متكامل يشبه السجادة أو الإطار الفني، وفي حالة أمتداد وتمدد الجدار طبقاً لتصميم الفراغ المعماري، تقوم المزخرفة بتقسيم الجدار بصورة متناسبة مع حركة واتجاه الخطوط المعمارية مثل الدرج والأركان وإطارات الأبواب والنوافذ والكوات.

تتشابه المعالجات الفنية التراثية في معظم قري منطقة عسير حيث اتخذت نفس منهجية تقسيم وأعداد سطح الجدار للنقش والتلوين، وقد اشتهرت كلا من قريتي رجال ألمع وبلاد قحطان بالأعتناء بفن

الإطار التحليلي التقني

Technical analytical framework

7.1 أثر فن السدو علي فن القبط في تحقيق الوحدة والتنوع في

الزخارف التقليدية:

فن حياكة السدو فن بالغ القدم، ظهر مع تطور الانسان وصناعة الاواني الفخارية وحرفة الرعي، لذا نرجع تأثير فن القبط بفن السدو. فيذكر ارنست كونل في كتابه الفن الإسلامي، ان هناك دلائل أثرية تدل انه متواجد منذ فجر التاريخ علي سبيل المثال مصر التي كانت تصدر منتجاتها من النسيج القباطي (كونل، ارنست، ١٩٦٦ م)، وفي ظل الحكم الاسلامي عهد الدولة الاموية تطورة صناعة النسيج وأمتد ذلك التطور إلي المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية وعرف باسم (الوصائل) (علي، جواد، ١٩٧١ م). في حين ان اشتهرت منطقة نجران التابعه للحدود السعودية في ظل حكم الدولة العباسية عهد المأمون بن هارون الرشيد (١٧٠ – ٢١٨ هـ) خلال القرنين (الرابع والخامس الهجريين)، بنسيج زخرفي قوامه اشكال مختلفة علي هيئة أشكال هندسية وخطوط منكسرة ممتزجة بالكتابة الكوفية.



(شكل ٦) قطعة من فن نسيج السدو (المصدر: فليكر)

تشابهة عناصر ووحدات فن القبط التي تزين جدران المنازل مع وحدات نسيج السدو المعروفه باسم (بيت شعر الماعز) وهو سكن البدو الرحل وهو عبارة عن نسيج يحك خصيصاً لأحد أنواع الخيام البدوية التي تنصب في فصل الشتاء، فهو من أقدم الحرف التقليدية التي تقوم بها المرأة البدوية حيث تغزل ذلك النسيج بشعر الماعز الذي يتميز بمقاومته وتماسكه عند تعرضه للأمطار وبإضافة صوف الخراف له يزداد تماسكاً ومقاومتاً للعواصف والرياح وحرارة الشمس.

استخدمت معظم وحدات عناصر نسيج السدو في النقش علي الجدران فيما عدا رموز القبائل ووسم الحيوانات، كما تباينة واختلفت تلك الوحدات واللوانها من قبيلة إلي أخرى. فكل الفنين التراثيين يجتمعا علي تصميم وبناء وحداتها في خطوط مستقيمة رأسية متشابكة مع الخطوط الأفقية ذات الألوان الداكنة للأحمر والأسود والأبيض والبنّي. ويعود ذلك التأثير المتبادل بين كلا الفنين ان البدو الرحل اعتمدوا علي نسيج السدو في بناء خيامهم وفرشها من الداخل ومستلزماتهم من امتعة وسروج خاصة بالحيوانات، وبظهور البترول في المنطقة تطورت الحياة الاقتصادية والاجتماعية وعم الأمن والأستقرار وتوجه معظم البدو الرحل إلي منطقة مشروع الهجر التي يجتمع بها مصادر المياه. مما أدى إلي انتقال دور المرأة إلي تزيين وزخرفة الجدران وأمتدت الي الأثاث والفرش بدلاً من البيوت المتنقلة (الخيام). اتبع معظم أساليب تقسيم زخارف نسيج السدو علي الجدران فاتخذ من الإطارات الزخرفية التي تحيط البسط من اطرافه، إطارات زخرفية مشابهة تحيط جوانب وأركان الجدران حيث تحتوي بين جنباتها علي تقسيمات متنوعة من الصيغ الهندسية والنباتية، إلا أنه أضيف إلي المعالجات الفنية الجدارية ألوان مستحدثة عبر العصور.

البناء المعماري والزخرفي في تلك المنطقة رغم التباين الطبوغرافي الشديد، كما غطية ارضيات مساكن بلاد قحطان بالألوان الزاهية (شكل ٨،٩) مع مراعاة انسجام اتجاه تخطيط مسار الألوان مع خطوط الشكل المعماري، حيث أكدت المساحات اللونية المتسعة والشريطية الضيقة علي الخطوط المعمارية وأضحت كظل لها، كما ساعدت امتدادية الخطوط علي كلاً من الجدران والأرضيات علي امتدادية الرؤي البصرية للزائر لتقوده نحو غرفة الاستقبال في جو من الترحاب.

7.5.4 الواجهات: نادراً ما نلاحظ زخارف جدارية منمقه خارج منازل قرية رجال ألمع، فقد انحصر معظمها في الزخارف المعمارية بحجر المر الأبيض والأسود وطبقة الجص لتزيين اطارات الفتحات الخارجية للمنزل، وبالانتقال إلى داخل الساحة الداخلية للمنزل تظهر إبداعات زخارف فن القط للمرأة العسيرية، ونرجع ذلك التوجه نحو الداخل إلي السمه الغالبه للعمارة الصحراوية التي تتسم بالخصوصية وبخاصة إلي الموقع الجغرافي لقرية رجال ألمع الذي يقع أعلي قمة سفوح الجبال وصعوبة الوصول إليها، بينما في بلاد قحطان التي تقع علي التدرجات المنبسطة من الجبال وإمتداد المساحات الزراعية (شكل ١- ج،د) أعنتي المخرفين أعتناء كلي وكامل بكافة الواجيات الداخلية والخارجية بصيغتها بألوان زاهية متضادة مفعمه بالديناميكية، ويرجع البعض إمتداد المساحات اللونية المسطحة إلي عدت عوامل منها ندرة الحرفيين المتميزين في هذا المجال الفني، كذلك التقدم التكنولوجي ووفرت الطلانات اللونية سهلت قيام الغير متخصصين بهذا المجال بتغطية الجدران بمساحات شاسعة ومتجاوزة، وتعود دقة المساحات اللونية التي لا تتجاوز عن ٣ سم الي العصور السابقة (هاني محمد، ٢٠٠٥).

8. بنائية وحدات زخارف فن نقش الجدران:

أتمت زخارف فن القط بالطابع الاسلامي الذي يتميز بالخصوصية، فقسمت مساحات الفراغ المعماري بصورة متوازنة ومتناسبة مع الوظيفة، وقد انعكس هذا الاسلوب علي طريقة تقسيم سطح الجدران بمنطقة عسير ما بين اشكال مربعة ومستطيلة محتوية علي مجموعات زخرفية، عرفت بأسماء محلية متداولة بين المخرفين فكانت علي النحو التالي:

8.1 الختام: هي احد أشكال الزخارف التي تتوسط الجدار علي هيئة شكل مربع (شكل ١٠)، يضم بين أضلاعه الأربعة التي يتراوح عرضها ما بين ٣٠ و ٤٠ سنتيمتر تقريبا، مجموعة من النقوش علي هيئة معينات منقوطة من الداخل والخارج عرفت باسم البلسنة، وعلي نحو أفقي زينة جوانب الختم بمثلثات وأشكال خماسية، وفي بعض الأحيان زينة بخطوط متقطعة متوازية.



(شكل ١٠) زخارف الختام

معالجة الجدران الملونة، لذا قسمت الاسطح الجدارية إلي: **7.5.1 الجدران:** خصصت بعض الجدران بصورة كاملة لرسم الزخارف في إطار محدد علي هيئة مستطيل أو مربع الشكل متناسبا مع مساحة الجدار، مثل السجادة في نسيج السو عرف باسم زخرفة "البتره"، وغالبا ما تحتل صدارة واجهة أحد الجدران المرتبطة بالمجلس المخصص للرجال. بينما في بلاد قحطان غلب طابع البساطة والتفاني في رسم المزهريات وبعض من رسوم الطيور والأشكال الهندسية والنباتية، علي نحو آخر قسمت أسطح الجدران الممتدة مثل مقدمة المنزل والدرج والغرف إلي ثلاثة أجزاء علي النحو التالي:

أ. أعلي الجدار غالبا ما يكون خالي من الزخارف أو يحتوي علي زخارف بسيطة وكأنه القبة السماوية التي ترمز الي الفراغ والمجهول.

ب. الجزء السفلي من الجدار غالبا ما يحتوي علي خطوط متوازية ومتكررة تسمي التقطيع العمري وهذا النوع سائد في نقوش قرية رجال ألمع، في حين ساد استخدام المساحات اللونية علي أمتداد الجدران في بلاد قحطان.

ج. منتصف الجدار علي مستوي النظر الأنساني تجتمع به الزخارف الإبداعية في حدود إطارات وخطوط دقيقة ملونه.



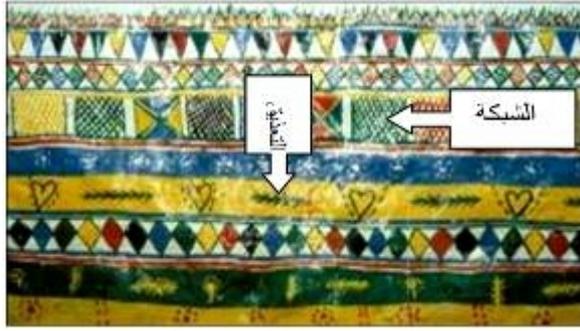
(شكل ٧) بعض من الأسقف من خشب الأثل الملون علي هيئة سواكف (المصدر: فليكر)

7.5.2 الأسقف: أعنتي بزخرفة وتنميق عروق خشب الأثل المتوازية (شكل ٧) التي تحمل الأسقف كما في عمارة البيوت التراثية بقرية رجال ألمع، حيث زخرفة بنفس الوحدات الزخرفية الملونة المستخدمة في الجدران، وبالمثل في بلاد قحطان إمتد نفس اسلوب معالجة الجدران بطلانها بالوان زاهية مسطحة تشبه خطوط زخرفة العمري التي تقع أسفل الجدار.



(شكل ٨) درج بأحد بيوت خميس مشيط بقرية رجال ألمع. (شكل ٩) درج بأحد بيوت بلاد قحطان سحان. (المصدر: فليكر)

7.5.3 الأرضيات: تجانست زخارف فن القط مع الخطوط المعمارية فأعنتي بتزيين وصيغة درجات السلالم الداخلية للمنزل في كلا من قريتي رجال ألمع وقحطان، زخرفة أرضيات الغرف بقرية رجال ألمع بطبقة طينية مجصصة تزخرف باصابع اليد علي هيئة دوائر شبكية متتالية تعرف باسم خشنة ويوجد نفس اسلوب معالجة الأرضيات بعشش تهامة الساحل مما يعكس تألف وحدة



(شكل ١٤) تفصيلية لزخارف البترة

8.2. البترة: تمتد علي طول الجدار وبخاصة علي جدران المجالس (شكل ١٤)، وتضم جميع أنواع النقوش والزخارف الملونة منحصرة بين خطوط أفقية متوازية.

8.3. الشبكة: وهي تشابك مجموعة من الخطوط ينتج عنها أشكال لمعينات أو مربعات هندسية متداخلة (شكل ١٤) تأخذ لوناً موحداً ويندر أن تتعدد الألوان فيها، ويكمن روح الإبداع في تلك الوحدة الفنية في الابتكار، والتنوع في تشابك وتداخل الخطوط، وتري الباحثة أن هناك تأثير واضح لتلك الزخرفة التي تشبه شبك الصيد، فمن المعروف عن قبيلة رجال ألمع معلمهم بالتجارة بالبحر ووصولهم إلي منطقة جيبوتي بأفريقيا.

8.4. الكف: تمتد تلك الزخرفة بامتداد أسفل الجدار المزخرف علي هيئة شريط ملون بلون واحد أو شرائط متوازية مختلفة الألوان وانتشر استخدامها علي جانبي الدرج الداخلي للمنزل (شكل ٩).

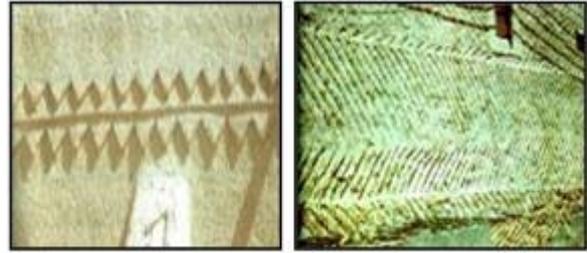


(شكل ١٥) زخرفة التقطيع العمري

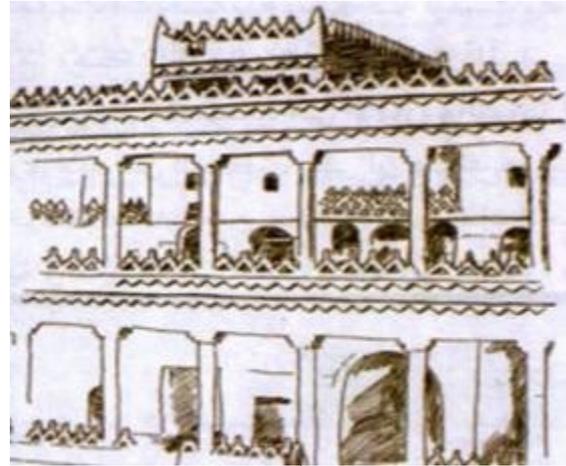
8.5. التقطيع العمري: يتألف من مجموعة من الخطوط الرأسية المتوازية الممتدة من قاعدة الجدار، حيث تشكل قاعدة أو ركيزة للشرائط الزخرفية الأفقية. فتبدو في مظهرها كالأعمدة المستخدمة في ليوان المنزل (ساحة داخلية) (شكل ١٣) وسرحة المسجد (صحن) في العمارة النجدية، كما يعلو زخرفة التقطيع العمري زخارف الختام، متضمنه في بعض من الأحيان مثلثات زخرفية تشبه في هيئتها المصابيح (العقود) المنتشرة في العمارة التراثية الإسلامية (شكل ١٥).



(شكل ١٦) زخرفة البنات والارياش



(شكل ١١) زخرفة الحزوز (شكل ١٢) الحدائر



(شكل ١٣) مشهد داخلي لأحد لليوان المنازل عل طراز

نجد. المصدر: عبد الله بن إبراهيم

بتحليل زخرفة الختام نجد ان الفنانة جمعت في تصميمها لتلك الوحدة، الرؤية البصرية المجردة للقطاع الراسي والأفقي للشكل المعماري بهيئة تجريدية غير مقصودة وكأنها جنحت إلي روح تصميم الفنان العربي لمخطوطاته في المدرسة العربية ببغداد، ويتجه تصميم زخرفة الختام نحو المركزية والحفاظ علي الفراغ باللون الأبيض لتحقيق التوازن بين عناصر أطار التكوين المكتظة بزخارف ملونة، وقد ميزت المزخرفة لفظ الجلالة لقدسيتها بوضعه في أعلي منتصف ذلك الفراغ في شكل دائري علي هيئة شمس مشعة متدلية من اعلي قمة المحراب المتجه نحو الشمال المتمثل في شكل مثلث كبير، وتسود الخطوط المستقيمة الحادة والمتشابكة والمنكسرة. فتبدو تلك الوحدة الزخرفية وكأنها تحاكي اساسيات بناء العمارة الإسلامية التي اخذت من تخطيط مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم المكون من فناء داخلي يلتف حوله اربع جدران، ويؤكد تلك الرؤية الفنية التحليلية الاركان الأربعة ذات القواعد الزخرفية المربعة (شكل ١٠ - ب)، ويربط بينهما أطارات شريطية زخرفية متقابلة تحتوي علي مجموعات متتالية ومتكررة من مثلثات كبيرة وصغيرة مديبة تشبه العنصر المعماري المعروف باسم "الحدائر" في طراز نجد، وبأسم "الأشناف" بطراز العمارة الفلاحية بوسط المملكة (شكل ١٢)، وهي عبارة "مثلثات بنائية صغيرة ترص بجانب بعضها بعضاً، فتكون علي هيئة مسننة أو مسنمة بارزة من واجهة الجدار" (عبد الله بن إبراهيم، ٢٠٠٧م) ووظيفتها المعمارية هو حماية الجدران من الأمطار، وقد لوحظ بالتحليل الفني ان المثلثات الكبيرة المتجه نحو الداخل تشبه رؤوس العقود المدببة ويفصل بينها خطوط مستقيمة باللون الأصفر مثل الأعمدة الحاملة، في حين أننا نلاحظ في الطرف الآخر يوجد مجموعة من المثلثات صغيرة الحجم متتالية تشبه الشرافات التي تقع أعلي الجدران وهي تمثل الرسوخ بقواعدها والامتدح بقممها. ويتقدم المبني مساحة اخري تشبه السترة التي تقع في مقدمة الجدار مزخرفة بطريفة الحزوز (شكل ١١) المستقيمة والمتقاطعة بعد تليسه بطبقة طينية مستخدمين بها الآت حادة، وهو النمط الخاص بأسلوب عمارة نجد التراثية المنتشر بكافة انحاء المملكة العربية السعودية.

البصرية لتلك التكوين إلي تكرار عقود المسجد المتجه نحو المحراب وتوالي قديم المصلين لأداء الفروض، وهذا النوع من الزخارف قريب إلي النفس ويرمز إلي التعلق بطاعة الله. كما خيم أعلي تلك الزخرفة بستانر ذا زخارف مميزة لزيادة توير وتعظيم زخرفة المحراب.



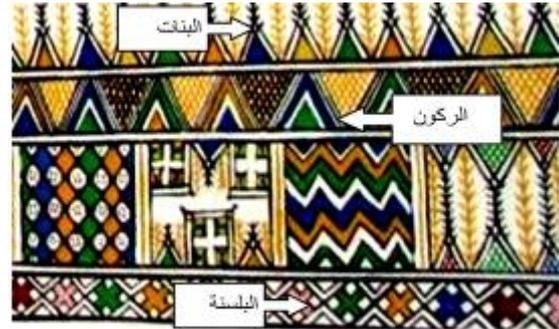
(شكل ١٩) زخرفة الحظية بأحد مجالس النساء

8.13. الحظية: تميزت المجالس الخاصة بالنساء بزخارف بسيطة تمثلت في شريط رفيع يمتد علي امتداد الجدار وكأنه إطار، غالباً ما ينتهي من أعلي بزخارف علي هيئة أمشاط أو زخارف نباتية. من خلال توضيح بعض من أهم الوحدات الزخرفية الأساسية المستخدمة في فن القط العسيري، نلاحظ أن تلك الوحدات الزخرفية ربطت بين الإستلهم من الطبيعة، وبين وحدات العناصر المعمارية المكملية، مثل زخرفة العمري التي تشبه أشكال الأعمدة، وزخرفة البنات التي تشبه الشرفات التي تعلو الجدران، وزخرفة الحظية التي تشبه إطارات فتحات النوافذ والأبواب والأقواس، وكأنه يحافظ علي هرمونية وإنسجام جميع العناصر المعمارية والزخرفية مع البيئة المحيطة. كما ظهرت بعض الزخارف وكأنها تخطيط معماري افقي (شكل ١٧، ١٨، ١٠) فيدي عليها روح المخطوطات العربية الإسلامية.

إمتدت زخارف فن القط علي ثلثي الجدار وربما أمتدت إلي نصفه حسب ارتفاع السقف ووجهة نظر الفنانة العسيرية، وبدي الجزء العلوي من الجدار والسقف هو إمتداد للسفوف السماوي التي تعني العلو والسمو والمجهول، في حين إمتدت زخارفها الإبداعية واجتمعت بين جنبات الخطوط المحددة بالألوان القائمة غالباً، فنادراً ما تصادف الخطوط الحرة أو الغير محددة بلون اخر.

١. فن القط والمجهول:

غلبت علي معظم الزخارف التراثية القديمة عدم ذكر اسم القائم بزخرفة القط، لعله نوع من أنواع إنكار الذات، إلا أنه في السنوات الأخيرة عرفت بعض أسماء القطاطين نساءً ورجالاً بين أفراد القبيلة. من خلال الربط التحليلي الزمني بين فن القط وفن الحكايات التراثية التي كانت سائده ومهيمنة علي تلك المنطقة، ربما يرجع عدم تدوين اسم القطاط علي الجدران في المراحل الأولى من هذا الفن الزخرفي الجداري، هو تزامن فن القط العسيري مع فنون القصص والحكايات الخرافية والأساطير التي تنسب إلي فترات موغلة في القدم، فلا يمكن تحديد إلي أي عصر تنتسب نظراً لتناقلها عبر الزمن دون تدوين التاريخ مع مجهولية صاحبها. إن فن القط أخذ طبيعة السرد القصصي المنتشر في ذلك العصر، فبدت الوحدات الزخرفية مجردة تتحدث بلغتها المجهولة عن واقعها، منطلقاً من عقل وذهن الفنان الذي عبر عنها بريشته وألوانه وأدواته البسيطة، فكما كانت القصص والحكايات والأساطير تتحدث وتعبر عن نفسها مع إتباع التخفي والتعبير المنطلق الغير محدد دون إبراز أي معلومة أو إشارة إلي اشخاص معينة، فهي لا تحمل هدفاً سوي الرغبة في التعبير، ولكن في حقيقة الأمر بتخيلها وأسلوبها، وبالتعمق في مغزاها نجد أنه يكمن بها رؤية وتوجيه المجتمع إلي التعبير عن حاضره وبيئته وما يتمناه. وكما أعتني بزخرفة وتلوين العناصر الداخلية، حظية واجهاته



(شكل ١٧) شكل توضيحي لمجموعة من الزخارف المتنوعة الحظية

8.6. البنات: وتسمى أيضاً "البِنَاءَة" (شكل ١٧، ١٦) تكون علي هيئة مثلثات متتالية مختلفة الألوان تقع أعلي الحظية تشبه قمم التلال والجبال، ويعلوها أشجار ذات خطوط بسيطة مجردة. ويعتقد البعض انها ترمز إلي الأنوثة والخصب. لم يتقيد الفنان الشعبي بمكان زخرفة البنات التي غالباً ما تكون أعلي زخرفة الحظية، بال أخذ في تحويلها متخذاً من وحدة زخرفة التقطيع العمري كقاعدة تمتد منها نحو الأعلى، فهي أشبه إلي الشرفات المعمارية المسننه التي تقع أعلي الجدران المنتشرة في العمارة الإسلامية وبخاصه في العمارة التراثية في تلك المنطقة.

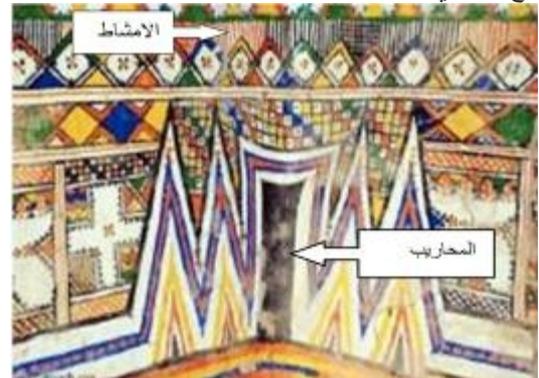
8.7. التعذيب: عبارة عن ثلاث نقاط تقع أعلي أطراف إزخرفة البنات (شكل ١٦)، وهي أشبه الي الفرجة التي يحدثها المعماري لأدخال الضوء والتهوية في داخل المنزل.

8.8. الأرياش: تتكون من مجموعة أشجار أو نخيل مجردة ذات أفرع قصيرة ومتساوية متجه نحو الأعلى، تتخلل زخرفة البنات بصورة تبادلية، مؤكداً علي المعني الرمزي للخصب والنماء (شكل ١٦، ١٧).

8.9. الركون: تتشكل تلك الزخرفة من مثلثات كبيرة متتالية (شكل ١٧) تحتوي علي بعض من الوحدات الزخرفية المستخدمة في رسم وتزيين الجدار.

8.10. البلسنة: هي أحد العناصر الزخرفية التي تشكل قوام زخرفة الحظية والختام (شكل ١٧)، وتكون علي هيئة نقاط أو دوائر داخل شكل معين.

8.11. الأمشاط: وهي خطوط رفيعة محدودة متوازية تتجه لأعلى أو إلى أسفل في نهاية الحظية (شكل 18) تشبه زخرفة التقطيع العمري.



(شكل 18) زخرفة المحاريب في احد اركان الجدار لتوضيح مكان القبلة

8.12. المحاريب: برزت زخرفة محراب الصلاة الذي يقع في صدارة الزخارف، (شكل ١٨، ١٥)، ملوناً باللون الأسود لون أستانر الكعبة المشرفة، وتمتد زخرفة المحارب علي جانبيه علي هيئة مثلثات كبيرة متتالية، ذات أضلاع متتالية دون قاعدة بحيث يتصاغر حجمها كلما توجهنا نحو الداخل، ويمكن تحليل الرؤية

- السعودية"، النادي الادبي في الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.
3. شاكور، محمود (٢٠٠٠)، "التاريخ الإسلامي، العهد العثماني"، الجزء ٨، المكتبة الإسلامية، دمشق، ص. ٢٨٥-٢٨٦.
 4. كورنوسواليس، كيناهاان (٢٠٠٧)، "عسير قبل الحرب العالمية الأولى"، عن: علي بن سعد آل زخيفة الشهراني (٢٠٠٩)، دار الكتب بوزارة الثقافة اليمنية، اليمن، الطبعة الأولى، ص ٤٢.
 5. Shetty, Rajmohan. (1990) "The Impact of Kinship Systems on the Generation of House-Types", TDSR 1. Roger Scrut
 6. الراشد، سعد بن عبد العزيز، والزليعي، أحمد بن عمر وأخرون (٢٠٠٣ م)، "آثار منطقة عسير، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية"، وزارة المعارف وكالة الآثار والمتاحف، العدد رقم ٦، الرياض، المملكة العربية السعودية ص ١٣٤.
 7. الصحاري، خزامي (٢٠١١م)، "وادي عيا حصون وقصور ومقابر تدل علي حضارة عظيمة منذ القدم"، صحيفة الرياض، الرياض، العدد ١٥٧٢٥.
 8. كونل، أرنست (١٩٦٦م)، "الفن الإسلامي"، ترجمه: أحمد موسي، دار صادر، بيروت، ص ٥٥.
 9. علي، جواد (١٩٧١)، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ج ٥، ص ٩٨، ص ٢٦١.
 10. الجوهرة، هاني محمد علي (٢٠٠٥)، "وحدة العناصر والأشكال في النقوش الجدارية بمنطقة عسير وعلاقتها باللباس"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد ٢١، العدد ٢، دمشق، سوريا، ص
 11. العمير، عبد الله بن إبراهيم (٢٠٠٧م)، العمارة التقليدية في نجد، دراسات آثارية (٤)، جامعة الملك سعود، سلسلة علمية حكمة، تصدرها الجمعية السعودية، للدراسات الأثرية، الرياض، ص ١٤٨-١٤٩.
 12. Dominique, Clevenot, Splendors of Islam, Architecture, Decoration and Design, The Vendome Press, New York, 2000
 13. Galea, Jr., The Traditional Architecture of The Asir Province, Saudi Arabia, Housing Science, V. 11, 3, 1987,
 14. Mauger, T., Impressions of Arabia: Architecture and Frescoes of The Asir Region, Flammarion, New York, 1996
 15. Peter G. Rowe, "Dual Aspects of Tradition in Saudi Arabia Urban Housing Development, in Setha M. Low and Erve Chambers (eds), Housing, Culture, and Design (University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1989)
 16. Ministry of Municipal and Rural Affairs, Atlas of Saudi Cities (Riyadh, 1987) (in Arabic) and Asir Province, Atlas of Asir Region (1985) (in Arabic).
 17. Amos Rapoport, Human Aspects of Urban Form; Towards a Man-Environment Approach to Urban Form and Design (Pergamon Press, Oxford, 1977).
 18. Eben Saleh, M. Al-Alkhalaf vernacular

الخارجية بالإهتمام لكن بقدر محدود محافظا علي التعاليم الإسلامية.

النتائج Results

تصدي قبيلة رجال ألمع للسيطرة العثمانية ساهم في الحفاظ علي أصالة وقدم الوحدات الزخرفية لفن النقش (القط)، بالرغم من إنه قد طرأت تغيرات ثقافية وافده أثرت بصورة ظاهرية طفيفة مثل استخدام الألوان والخامات الحديثة متماشياً مع العصر ومحافظا علي إستمرارية العمل الفني.

تأثر فن القط الزخرفي بالأسلوب البنائي التخطيطي لفن العمارة التقليدية، فكما قسمت العمارة الفراغات الداخلية بصورة فزيائية متوازنة تفصل بين خصوصية الرجال والنساء طغت عليها سمة الرحابة بالضيف من بداية البوابة والجدان الخارجية إلي ساحة استقبال الضيوف المزودة بالدرج المزين بأبهي الزخارف الملونة الممتدة داخل غرفة استقبال الضيوف، تحققت الوحدة بين عناصر الزخارف الجدارية مع وحدات زخارف الفرش وأثاث نظراً لتأثرها ببعضها البعض رغم الإختلافات البينية، فقد غلب علي زخارف نسيج السدو الألوان القاتمه، وعناصر زخارف الرسم والأشكال الطبيعية والحيوانية المجردة التي تميل إلي الكتابة النبطية، إلا أنها امتزجت بعناصر ووحدات العمارة التقليدية السائدة فهو فن مرتبط بالعمارة المتنقلة في هيئة خيام.

مناقشة Discussion

عملية تشييد وبناء العمارة التقليدية هي عملية تكاملية بين أفراد المجتمع من صناعات وبنائين وغيرهم، كذلك الترابط البنائي والتداخل العمراني بين المنازل والتضاريس البيئية لتشكيل وحدة إجتماعية تصنيعية، إنعكست دورها علي وجدان الفنون التراثية الجدارية المرتبطة بها، لذا يعد فن زخرفة الجدار من الفنون التي تساهم في تعديل السلوك الحضاري وإعلاء روح الوحدة الإجتماعية والأرتقاء بالذوق العام من خلال مشاركة أفراد الأسرة الواحدة، أو أفراد من الجوار في بناء وتصميم التكوينات البصرية الجدارية المفعمه بالحيوية.

الخلاصة Conclusion

من خلال دراسة وتحليل بعض من عناصر العمارة التقليدية والنظرق إلي فن حياكة السدو اللذان كانا يتلازمان تواجدهما معا لسد الاحتياجات والمتطلبات المجتمعية بمنطقة عسير، إنعكست آثارهما علي أسلوب معالجة وحدات فن نقش الجدارن من خطوط ووحدات زخرفية وأسلوب تنسيقها، فقد أخذ عنهم سمات أساسية وجوهرية وهي: (الخطوط المستقيمة الرأسية والأفقية) المشكلة بأساليب متنوعة والتي تتسم بسمة التصاعدية، فمعظم الأبنية التراثية يغلب عليها سمات القلاع والحصون مع تقسيم مستوياتها الداخلية الي طوابق وغرف والبعض منها يغلب عليها صفة الإمتدادية والتلاحم مع البيئة من أودية وسهول وارتفاع حاجز يحيط بها، كذلك في حياكة نسيج السدو تتلاقى اللحمه والسدي ويتشكل النسيج بصورة بنائية تصاعديه علي النول، فكان من الطبيعي ان يتأثر فن القط لأنه ينتمي لتلك المجتمع الذي يعتمد علي التكامل والتآلف مع البيئة المحيطة.

ساهمت المرأة العسيرييه في الحفاظ علي التوازن بين الماضي والحاضر من خلال نقوشها الجدارية التراثية التي تتميز بالمرونة المادية والإنسانية، حيث تجاوزت مع تطور العصر من احتياجات وتقنيات تكنولوجية، مع التمسك بالقيمة الإنسانية والحفاظ علي صدق الإنتماء للهوية القومية. مما أضاف إلي مفهوم تشكيل العمل الفني التراثي والرؤية الفنية المعاصرة.

المراجع References:

١. النعمي، هشام سعيد (١٩٩٩ م)، "تاريخ عسير في الماضي والحاضر"، الطبعة ٢، الرياض أمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام علي تأسيس المملكة العربية.
٢. الجاسر، حمد (١٩٨١م)، "معجم قبائل المملكة العربية

- 18, No. 2 (Summer, 2001), pp. 156-177
Published by: Locke Science Publishing company, Inc.
21. Abu Alkir , Nihal Abd-Elgawad & Kodeir, Eman Bahnassy. (2015). Traditional Saudi Folklore Motifs as an Approach to Enrich Tapestry & Upholstery Designs "Case Study of Tapestry & Upholstery of Touristic Resorts and Rest Houses in Taif City, KSA", Egypt, International Design Journal.
- landscape: the planning and management of land in an insular context, Asir Region, Southwestern Saudi Arabia. Landscape and Urban Planning 1996; 34(2):79–93.
19. Eben Saleh, Mohammed Abdullah, The decline vs the rise of architectural and urban forms in the vernacular villages of southwest Saudi Arabia, Building and Environment 36 (2001)
20. Abu-Ghazzeah Tawfiq M., The art of Architectural decoration in the traditional houses of Al-Alkhalaf Saudi Arabia. Journal of Architectural and Planning Research. Vol.
-